مكتبة شرقية نادرة

ونبذة من سيرة جامعها

نور الدين بك مصطفى

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

في صباح يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ اختار الله لجواره صديقنا المرحوم نور الدين بك مصطفى فانطفأ بفقده مصباح من مصابيح العلم في مصر وانديك صرح من صروح الفضيلة وركن من اركان النهضة العلمية. فني ذمة الله ايها الصديق. فلقد كنت انس العلماء وكعبة الفضلاء ومرجع اهل الجد والنظر. كيف لا وقد كان رحمهُ الله كبير الهمة عظيم القدر. قوي العزيمة سليم الطوية غزير العلم كثير العمل لا يهدأ ليلاً ولا نهاراً فاثر ذلك في صحته فاسرعت اليهِ منيتهُ في منتصف العقد الخامس من حياته فصدق بذلك ظن ابي العلاء المعري اذ يقول :

ركوب النعش اسرع لابن دهر يريد الخير من قتب وسرج

زرتهُ قبل وفاته بايام فراعني ضعفهُ وآلمني مرضهُ وهو سنهك القوى مكب على عمله المالي والعلمي قرجت باللائمة عليهِ لاهماله الرياضة البدنية كالاعمال اليدوية والمشي في الخلاء فتبسم وقال افعل ان شاء الله وبعد ايام سألتهُ فاجاب قد فعلت وقد اضمر في نفسهِ قول جذيمة الابرش لقصير (رأيك من الكن لا في الضح)

وقولهُ ايضاً (لا يطاع لقصير امر) فذهبا مثلين. وقول ابي تمام

ملك يرى تعب المكارم راحة ويعدُّ راحات الفراغ متاعبا

وقول المعري

ان صح لي اني سعيد فليتني ضحي صعيد
صمت حياتي الى مماتي لعل يوم الحمام عيد

لم يعقه المرض عن البحث والتنقيب في الكتب والدرس والتحصيل فكنت في نصحي لهُ ناهجاً منهج المثل المشهور (ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراً ابقى) وكان في نفسهِ ناهجاً منهج المتنبي اذ يقول

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومنهج المثل «امهلك واماملك» وسيع امرئ القيس اذ يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت لهُ لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

لقد كانت صداقتي لهُ رحمهُ الله اساسها العلم . والصداقة العلمية أثبت اساساً واقوى ركناً واوفى عهداً وادوم مودة واعلى شأناً لذلك اردت ان اذكر شذرة من تاريخ حياته ومآثره العلمية والادبية لان لسير العاملين في اخلاق الناشئين اثراً وفي صحائف اعمال الآباء للابناء مدّخراً

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

سيرته

ولد المرحوم في مدينة (اوخرى) من بلاد مكدونيا سنة ١٨٨٣ ودرس فيها الدروس الابتدائية وتلك البلاد مناظر جميلة فاثرت في نفسه روعة مناظرها وسحر ازاهيرها. وبهجة مزارعها البهية. واشجارها الباسقة وانهارها المتدفقة وطيورها المغرّدة فرسمت على لوحة قلبه صور تلك المناظر فاوحت الى عواطفه حب الشعر وجمال الطبيعة وانوار هذا الوجود . تلك هي المدرسة العليا التي يتربى فيها النابغون من نوع الانسان ثم سافر الى (مناستر) فتلقى هناك الدروس الثانوية ثم سافر الى الاستانة ودرس بمدرسة الحقوق في تلك العاصمة وتخرج فيها بدرجة الامتياز وفي سنة ١٩٠٣ حضر الى مصر وفيها تزوج وانتظم في سلك جمعياتها العلمية والادبية فمن ذلك (الرابطة الشرقية) وقد كان فيها مناراً يهتدى به ومن اعظم الاعضاء العاملين بها و(المجمع اللغوي) و (جماعة التعليم الشرقي الاسلامي) وسبب هذه الاخيرة انهُ قدم الى مصر الشيخ حسن بن احمد العطاس من بلاد الملايو بمملكة جهور بهارو وطلب مني ان اسعى في تشكيل لجنة في مصر لبذل النصح لتلك الاقطار في ان يجمعوا المال ويفتحوا المدارس فاجبت طلبه

واجتمع الاخوان تشكلوا لجنة معي وكان الفقيد واسطة العقد ونبراس الهدى واقوى عضد لي فيها وبقيت اللجنة مثابرة على عملها الى الآن ولكن انحصر عملها في ارشاد الطالبين الذين يحضرون لتلقي العلم بمصر

﴿آثار الفقيد في اللغة﴾ منها دائرة المعارف التركية بيّض منها (حرف ا) بمقدار خمسة اجزاء كبيرة خلاف الصور ووصل الى حرف صق بالمسوّدة الكاملة ووصل الى

النهاية بمسودة مختصرة ولهُ مقالات كثيرة في جريدة اقدام التركية عن العشرين الكلمة التركية التي عجز عن تفسيرها اعظم علماء الترك وحاز في نتيجة ذلك لقب الامام الاعظم في اللغة التركية ولهُ مقالات علمية نشرت في جريدة الاهرام مثل الليل — الذئب الابيض ولهُ شعر في كل من التركية والفارسية والعربية

وليس يتسع المقام لذكر ما كان يعرفهُ من فروع اللغات الكثيرة التي لها صلة بهذه اللغات كالمامهِ بالشركسية والبلغارية والمغولية وغيرها وانما الذي يجدر ذكرهُ الآن ما دار من الحديث بينهُ وبين صاحب السعادة نائب سفير دولة ايران اذ توجهت معهُ في العام الماضي لرد الزيارة اليهِ مرتين ، مرة في السفارة ومرة في منزله فكانا بحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكان من حديث الفقيد ان قال اني لما وجدت ان رباعيات عمر الخيام قد ترجمها الناس من الانجليزية الى العربية والانجليزية مترجمة عن الفارسية ايقنت انني بما لي من المعرفة بالفارسية يجب عليَّ ترجمتها نظماً ولقد علق بذهني من ذلك المجلس هذه الابيات

اكسرت ربي اناء خمري وهدمت ربي بناء عمري
ابعد شربي بنور غيري الويل لي اعداك سكري

والخطاب في البيت الثاني للغير لا لله

ومن الرباعيات ما قالهُ المرحوم ايضاً من نظمه المترجَم

لك الشكر مني يُزوِّدُ مُنَّتْ فكيف اعيش لاقضيَ دينك
فعالي سوء فتجزى بسوء فما الفرق يارب بيني وبينك

ومنها : ثور يقال بانهُ تحت الثرى فكذاك ثور في النجوم منورا
انا ما رأيتهما ولكن في الورى آلاف حمر صرت بينهما ارى

وهذا النظم فيهِ معانٍ لم ترد في الرباعيات المترجمة من الانجليزية فيحسن نشرها بتمامها وعسى ان يُعنى بذلك ورثته الفضلاء

المكتبة النورية

وهي اعظم مكتبة في العالم من حيث الفنون الجميلة الشرقية وهو المؤسس لها وفيها نحو (٢٠) الف كتاب ثلاثة ارباعها من المخطوطات والآثار اليدوية المتنوعة ومنها اكثر من مائتي مصحف لاكبر الخطاطين والنقاشين في الشرق وبعض قطع يد ملوك

بني عثمان مثل محمود الثاني وعبد المجيد الاول واحمد الثالث وهكذا بعض ملوك ايران والافغان وتركستان ومصر وغزنه والمغول والسلجوقيين

وفيها شيء عجيب لا نظير له وهي صورة من التوراة بالقدس الشريف التي استخرجها ملك ايطاليا (امبرتو) ومنها آثار في هذا الفلك غير مطبوعة تأليف عمر الخيام وفيها صورة فريدة في العالم للرسام الشهير (ماني) الذي اسس الديانة المانية والذي ادعى النبوة وقال معجزتي هي صوري وهذه الصورة وحدها قدرت بمليون ريال من احد اغنياء الاميركيين في حياة المرحوم . ومن اعجب ما سمعتهُ منهُ ما قالهُ لي قبل وفاته بنحو ثلاثة اشهر ما نصه : عندي كتاب بالفارسية فهاك اسمعك موضوعاته فلما سمعتها قلت هذا كتاب اخوان الصفاء بعينه فقال هو بالفارسية منسوب الى الفارابي مكتوب في القرن الرابع الهجري قلت واخوان الصفاء في نفس التاريخ ولكنهُ منسوب لغيره بالعربية ؟

ولقد انفق المرحوم في سبيل تلك المكتبة معظم ثروته وربع قرن من حياته القصيرة التي لم تدم اكثر من خمس واربعين سنة . هذه نبذة من حياة صديقنا نور الدين بك مصطفى ايفاء لبعض ما لهُ من حق الصداقة وحضاً على اقتفاء آثار العاملين مثلهُ وتعريفاً بقدر الفن والعلم الذي ادخرهُ في مكتبته . فهل يقابل ابناء الشرق الاسلامي اهل اميركا واوربا في حفظ تلك الذخائر بلادهم حتى تكون مشرق علم ومنبع حكمة في بلاد الاسلام ام يتركونها كغيرها فريسة الاهمال فتهرب من الشرق الى الغرب ؟ ان الفرصة سانحة والشرق قد استيقظ والآمال اليوم اقوى منها امس والله لا يضيع اجر من أحسن عملا

طنطاوي جوهري

[المقتطف] ينفق الاميركيون ملايين الجنيهات لشراء نفائس الآثار الفنية في انكلترا وغيرها من بلدان اوربا على ما بيناهُ في مقالة في هذا الجزء . وقد اخذ كتاب الانكليز يعيّرون ابناء قومهم لتهاونهم في جمع النقود لشراء هذه النفائس والاحتفاظ بها في بلادهم . ويظهر لنا مما ذكرهُ الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في هذه المقالة ان مجموعة المرحوم نور الدين مصطفى بك تحتوي على نفائس فنية وعلمية كثيرة . فعسى ان تهتم الحكومة وان يهتم الاغنياء بشراء هذه النفائس الفنية وعرضها في دار الآثار العربية او متحف آخر قبلما يفوز بها الغربيون وينقلونها الى بلادهم